هوامش

ينتظر كثيرون، وخصوصاً الأطفال، فصل الربيع لقطف عشبة الحمّيضة وتناولها مع الملح والكمون. وأحياناً، يتنافسون في ما بينهم لجمع العدد الأكبر منها

من قطف العدد الأكبر من الحميضة؟ (العربي الجديد)

عشبة الحمّيضة

هوس الأطفال في فصل الربيع

مراجعيون ـ **عمر يحيى**

ما إن تهلّ بشائر الربيع وتتفتّح الأزهار، يتسابق الأطفال في الحقول بحثاً عن عشبة الحمّيضة التي تجذبهم بوردها الأصفر وطعمها الحامض، ويتنافسون لجمع أكبر قدر ممكن منها، ويلي ذلك التنافس أيضاً على أكلها مع الملح أو الكمّون.

الحمّيضة أو الحمّاض، عشبة يحنّ إليها الكبار فيبحثون عنها مع أطفالهم في المساحات الخضراء، لا سيما في المدن التي غزتها الكتل الإسمنتية، إذ تذكّرهم بطفولتهم ويعرّفون أطفالهم على هذه النبتة الأنيقة الشكل.

تقول نور قصاب إنّها تقطف الحميضة مع طفلتها ناي من حقل مجاور لمنزلها في مدينة صيدا (جنوب لبنان). وتقول إن «الحمّيضة جزء من طفولتي حين كنا نركض ونتسابق نحو بستان أو حقل قريب من بيتنا المجاور للقلعة البرية في صيدا، لنقطفها ونأكلها مع الملح أو الكمّون. أما اليوم، وبسبب الكثافة العمرانية، لم يعد هناك الكثير من البساتين والحقول، وبتنا نبحث عن أية مساحة خضراء أو أي حقل أو بستان كي يتعرّف أطفالنا إلى الحمّيضة ليستمتعوا بطفولتهم. نحن أيضاً نستعيد تلك الذكريات وطفولتنا معهم».

من جهة أخرى، يلفت المهندس الزراعي غيث معلوف إلى أن «عشبة الحميضة (الاسم العلمي هو OXALIS)، هي نبتة معمّرة لنحو سنة تقريباً، وتمتد فترة تفتحها نحو شهرين، وتحديداً ما بين شهري مارس/ آذار ويونيو/ حزيران، وهي نبتة متجددة بمعنى أنها تتجدد كل عام من خلال جذورها وتتكاثر من خلال بذورها. لكن البعض يعتبر أن هذه النبتة هي عشبة برّيّة، فيزيلونها من حقولهم. وتكمن أهميتها في أنها تلفت أنظار الأطفال بلونها الأصفر الجذاب وطولها (أكثر من 30 سنتيمتراً)، بالإضافة إلى نكهتها وطعم الحموضة فيها، ويميّزها حامض الأوكزاليك الموجود فيها. وهذه النكهة تجعل الأطفال متحمسين ومشدودين لقطافها وجمعها في هذه الفترة من كل سنة».

يضيف معلوف أنها صالحة للأكل بمعظم أجزائها من أغصانها وجذورها إلى أوراقها ووردها الأصفر، مشيراً في الوقت نفسه إلى «وجوب عدم الإكثار من تناولها، ذلك أن حامض الأوكزاليك الموجود فيها يمكن أن يؤدي إلى مشاكل صحية، خصوصاً وأنه مركّز بأوراق الحمّيضة بشكل كبير. إلا أن طهوها يقلّل من حدّة الحامض الموجود فيها، لأنه يمنع امتصاص الكالسيوم في الجسم. كما تؤدي إلى مشاكل لمن يعاني من وجود حصى في الكلى. لذلك، يفضّل تجنب تناولها بكميات كبيرة».

يضيف معلوف: «كان بعض الناس يعتبرونها مجرد عشبة، باستثناء الأطفال الذين يحبون زهرها الأصفر وشكله، وأوراقها المميزة جداً التي تتّخذ شكل القلب، وزهرها وأوراقها تتفتح نهاراً لتتغذى من الشمس وتنغلق على نفسها ليلاً، وهذا ما يزيد من جمالها. والحميضة ما زالت موجودة بشكل مقبول في بعض الحقول، لا سيما بساتين الزيتون والحمضيات، إذ تنتقل بذورها مع سماد الأبقار والماشية. وفي أماكن أخرى، أصبحت هذه العشبة تقل بنسبة كبيرة».

ويشير معلوف إلى أن «هذه العشبة أو النبتة موجودة وتنمو في مختلف بلدان الشرق الأوسط. وتؤكد دراسات أن هذه العشبة تنمو من دون أزهار في بعض بلدان أوروبا بسبب طول النهار وبرودة الطقس في فصل الشتاء. إلّا أنها تزهر في منطقة شرق المتوسط ومعظم بلدان أفريقيا وآسيا».

يتابع معلوف أنه تعرّف عليها في بساتين الحمضيات على الساحل اللبناني، حيث تنتشر بكثرة. ويقول: «أكثر ما أحببته في هذه العشبة هو شكلها وطعمها الحامض. في كل مرة أراها بأي حقل أقطفها وأتناولها مع الملح، وقد عرّفت أولادي عليها منذ طفولتهم وهم يحبونها كثيراً. وأنصح الجميع بتذوقها والاستمتاع بنكهتها».

مهما قيل عن الحمّيضة ذات الزهرة الصفراء والمشوقة القوام، تبقى لكلمات الأطفال عنها وقع خاص. هؤلاء يتحدثون عنها بعفوية وبراءة كما هو حال كل من لمار وحبيبة وسيرين وأحمد وراني وجيجي وناي الذين جمعتهم الحمّيضة في يوم ربيعي مشمس، وراحوا يتنافسون في جمع أكبر كمية منها وتلك الأكثر طولاً. يتحدث كل منهم عن طريقة أكلها مع الملح أو الكمون أو الإثنين معاً، فيدور حوار بين لمار وحبيبة وسيرين. تقول الأولى: «هيدي (هذه) كتير طيبة (لذيذة) وطويلة»، فترد عليها حبيبة: «الحمّيضة كتير كتير طيبة». أما سيرين، فتشرح عن الحمّيضة قائلة إنها «تنمو في فصل الربيع ونحبّها كثيراً. في ناس تأكلها مع الملح وغيرهم مع الكمون وتعلوها وردة».

باختصار

الحميضة ما زالت موجودة بشكل مقبول في بعض الحقول، لا سيما بساتين الزيتون والحمضيات، إذ تنتقل بذورها مع سماد الأبقار والماشية. وفي أماكن أخرى، أصبحت هذه العشبة تقل بنسبة كبيرة

■■■

تكمن أهميتها في أنها تلفت أنظار الأطفال بلونها الأصفر الجذاب وطولها (أكثر من 30 سنتيمتراً)، بالإضافة إلى نكهتها وطعم الحموضة فيها، ويميّزها حامض الأوكزاليك الموجود فيها. وهذه النكهة تجعل الأطفال متحمسين ومشدودين لقطافها وجمعها في هذه الفترة من كل سنة

وأخيراً

جوهرة في وسط التراب

رشا عمران

أخبرتني صديقةٌ، ذات مرة، أن لها صديقة كانت موضع سرّها، ورفيقتها في تفاصيل الحياة اليومية، في الأحزان قبل الأفراح، صداقة من النوع الذي يعتدّ به، ويعوّل عليه، ليكون إلى نهاية الحياة، أخبرتني أن صديقتها ابتعدت، اختفت من حياتها فجأة من دون سبب. حاولت صديقتي معرفة سبب ما حصل منها، اتصلت بها مرّات، وحاولت سؤالها عما يحدث، لكن تلك لم تعطها إجابة شافية، وبقيت مبتعدةً، وكأن لا صلة ربطتها بها عمرا طويلا. لا بأس، حتى العلاقات الإنسانية يبدو أنها تنتهي، وأن لا شيء يدوم إلى الأبد. حصل هذا معي أيضا عدّة مرات. تقاطعني من كنت أتعامل معهن كصديقات فجأة، وأنا هنا، في كل الحالات، أتحدّث عن نساء مثقفات ومبدعات. صديقاتي شاعرات مثلا، قاطعنني من دون أن أعرف السبب حتى اللحظة. إحداهن بيني وبينها صداقة قديمة وعلاقة فيها من الترابط الإنساني والثقافي الكثير، على الرغم من محاولاتي العديدة معرفة أسباب قطعها الصلة بيننا، هي والأخريات، عبر الاتصال بهن، وإرسال رسائل لمعرفة ماذا يحدُث، ولكن من دون جدوى. لا أخفيكم أنني شعرتُ بالخذلان، إذ لا شيء يعادل خسارة صديقٍ قريبٍ جدا، لكنني تعلمت بعدها (للأسف) أن أضع عتبةً في علاقتي مع أي شخص، عتبة حماية، تقيني من أذى الخذلان والخيبة، إذ إن الحياة أقصر بكثير من أن نقضي جزءا منها في مكابداتٍ لا معنى لها، ولا يد لنا فيها أصلا؛ إذ لكل شيء نهاية، فالمزاج والعقل الباطن يتحكّمان بنا إلى حد مهول. أكاد أجزم أن جزءا كبيرا من الأصدقاء الذين فقدناهم في حياتنا يرجع فقدنا لهم أو فقدهم لنا إلى ألاعيب العقل الباطن، واضطراباتنا النفسية التي لا نعيها، ولا ندرك وجودها أساسا.

ثمّة في علاقة الصداقة ما يميزها عن باقي العلاقات الإنسانية الأخرى، فهي تتم بناء على اختيار عقلي وعاطفي، منفعي وفاضل (حسب أرسطو) الذي أضاف المتعة أيضا إلى بنية الصداقة، لكن ذلك كله قائمٌ على الاختيار الشخصي، حيث لا دور للغريزة (الجنسية) كما في الحب، ولا دور للمصادفة، كما في العلاقات الأسرية، وهو ما يضع الصداقة في المرتبة الأولى من العلاقات الإنسانية، إذ إنها تحتمل كل شيء من دون ضغوط خارجية، فهي من العلاقات الإنسانية النادرة التي لا تخضع لشروط الوصاية المجتمعية، ولا لمعاييرها، إذ إن ما يربط الأصدقاء هو التقارب الفكري المشترك الذي هو حصيلة تراكم خبراتٍ عديدة. ولعل هذا ما يجعل من خذلان الصديق أمرا مميضّا جدا، فهو يفقدنا الثقة بقدراتنا وصوابيتنا في الاختيار، ذلك طبعا حين نكون مدركين الآلية التي نختار بها أصدقاءنا، مدركين الروابط التي تجمعنا بهم، وهو ما يحتاج لأن ندرك، أولا، ما نحن عليه حقيقةً وليس ادّعاء، أي أن نعرف ونفهم أنفسنا إلى حد ما كي نتمكّن من التحكّم في اختيارات حياتنا، سيما في الصداقات.

لا شيء يدوم إلى الأبد حتى الصداقات، على أن علاقاتنا القائمة على الاختيار الشخصي تحتاج إلى جهد لبنائها بشكل سليم، وإلى جهد آخر للحفاظ عليها. أعتقد أن هذا الجهد يتلخص في كلمة واحدة هي «الوضوح»، أو وعي الوضوح في بناء علاقة الصداقة، الوضوح الذي يعني أن أخبر صديقا حين أنتبه إلى تصرّف أو سلوك، سبّب لي إزعاجا أو توترا ما، بانزعاجي، وأطالبه بترير سلوكه معي. والوضوح يعني أن أستمع إليه وأن أناقشه، وأن نحاول الوصول إلى صيغةٍ لفهم ما حدث وتجاوزه. الوضوح يعني أيضا أن يتيح لي صديق سبّب سلوك مني له غضبا ما أن أعرف خطئي معه، وأن أبرّر ما فعلته، وأن يتيح لي ميزة الاعتذار إن كنت فعلا مخطئة. الوضوح يعني أيضا أن أطالبه بالوجود معي في لحظات فرحي وحزني، وفي الأوقات التي أحتاجه فيها لمجرّد الاستماع إلى هواجسي. الوضوح هو أن يفعل ذلك من دون أن يشعرني بأنني أثقل عليه بما أطلبه. الوضوح هو في تبادل هذه «المنفعة»، كما أطلق عليها أرسطو من دون تذمر ومن دون تراجع، إذ ليس هناك ما هو أسوأ من انسحاب طرفٍ من علاقةٍ ما، سيما الصداقة، من دون أن يُتاح للطرف الآخر معرفة السبب وراء هذا السلوك، حالة من النرجسية، المختلطة مع الجبن والخوف من المواجهة. الصداقة الحقيقية تتطلّب شجاعةً بقدر ما تتطلب مرونة، تتطلب غيريةً بقدر الأنوية. لا تخذلوا أصدقاءكم الحقيقيين، إذ نحن في زمن الافتراض، وفي زمن الافتراض يصبح الواقع الجميل مثل جوهرةٍ في وسط التراب.

> علاقاتنا القائمة على الاختيار الشخصي تحتاج إلى جهد لبنائها بشكل سليم، وجهد آخر للحفاظ عليها

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**